مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Planning and Studies

ناقلات الظل الروسية وصادرات النفط العراقية: بين مواجهة العقوبات وكسب حصة آسيا

د. علي دعدوش

سلسلة إصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط

عن المركز

مركزُ البيان للدراسات والتخطيط مركز مستقلٌّ، غيرُ ربحيّ، مقرُّه الرئيس في بغداد، مهمته الرئيسة -فضلاً عن قضايا أخرى- تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حولَ قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍ، ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام. ويسعى المركز إلى إجراء تحليلٍ مستقلٍّ، وإيجاد حلول عمليَّة جليَّة لقضايا معقدة تهمُّ الحقليْنِ السياسي والأكاديمي.

ملحوظة:

لا تعبِّر الآراء الواردة في المقال بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز، وإنَّما تعبِّر عن رأي كتابِها.

حقوق النشر محفوظة © 2023

www.bayancenter.org
info@bayancenter.org

Since 2014

ناقلات الظل الروسية وصادرات النفط العراقية: بين مواجهة العقوبات وكسب حصة آسيا

د. علي دعدوش*

ملخص

– توجد ثلاثة أنظمة لأساطيل نقل النفط الخام والمنتجات البترولية الأخرى، منها أسطول النقل الأبيض أو القانوني الذي يتمتع بقبولية عالمية وشفافية في التعامل بين الدول المصدرة والمستوردة. ومنها أسطول النقل الرمادي وأسطول النقل الداكن، اللذين يشكلان أسطول ناقلات الظل، وهذه هي المعنية في عملية تجاوز العقوبات المفروضة على روسيا. والذي يُعنى به في عمليات تجاوز العقوبات المفروضة على روسيا.

– بعد الحرب في أوكرانيا وفرض العقوبات على روسيا فيما يتعلق بصادرات النفط، بدأ في الظهور ناقلون جدد في أسواق الطاقة، حيث يمتلك هؤلاء المسوقون الجدد مراكزاً ومقاراً تابعة إليهم في مناطق هونغ كونغ ودبي.

– توجد ما يقارب 500 سفينة، والعديد منها ناقلات قديمة ذات ملكية غامضة وشركات تأمين غامضة، يمكن أن تلعب دوراً أساسياً في نقل النفط الخام الروسي إلى الصين وموانئ أخرى في آسيا نتيجة لسقف الأسعار المفروضة من مجموعة الدول الصناعية السبع، الذي يهدف إلى إبقاء عائدات النفط بالعملات الأجنبية خارج نطاق المنافسة.

– غالباً ما تستخدم السفن تكتيكات مصممة لإخفاء موقعها أو مصدر النفط الخام المنقولة من الموانئ الروسية، والذي قد يتم تكريره لاحقاً في الهند ودول أخرى، وحتى إعادة تصديره إلى الدول الغربية التي تفرض عقوبات على الكرملين.

– تعافى الاقتصاد الروسي بعد العقوبات التي فُرضت عليه، نتيجة استخدامه لناقلات نفط الظل في بيع النفط الروسي إلى الصين والهند.

* باحث في شأن الاقتصاد العراقي والدولي.

– تسبب ناقلات الظل تلوث كبير وأثرت سلباً على سلامة البيئة، فضلاً عن سلامة الطاقم والعاملين في تلك السفن.

– كان لناقلات الظل تأثير سلبي على صادرات النفط العراقية وخاصة صادرات النفط إلى الهند، مما أدى إلى تراجع العراق إلى المركز الثاني، حيث كان يصدر العراق نحو (1,2) مليون برميل يومياً، وتراجع إلى (890) ألف برميل يومياً.

المقدمة

منذ اندلا ع الحرب في أوكرانيا، شهدنا انخراطاً أقل للشركات الغربية السابقة المهيمنة في مجالات التجارة والشحن والتأمين على النفط الروسي. هذا الواقع ساهم في ظهور مشغلين جدد في سوق نقل وبيع نفط خام الأورال، حيث أصبحت تلك الشركات الجديدة، التي تتخذ مقرها ليس في جنيف بنسبة قليلة فقط، بل في هونغ كونغ بنسبة أكبر ودبي.

أصبحت حاجة روسيا إلى سلسلة توريد بديلة، والمعروفة بـ «ناقلات الظل»، أكثر إلحاحاً منذ بداية الحرب، وخاصة بعد الخامس من ديسمبر/كانون الأول في عام 2022، حينما بدأ تنفيذ حزمة العقوبات الغربية. تمنع تلك الإجراءات الواردات الأوروبية من الخام المنقول بحراً، وتتيح للسفن الروسية الاستفادة من خدمات الشركات اللوجستية والتأمين الغربية فقط في حال كان سعر حمولتها أقل من 60 دولاراً للبرميل (الحد الأقصى المسموح به لأسعار النفط الروسي). زادت العقوبات على الديزل وغيره من المنتجات المكررة بعد تنفيذ القرار في الخامس من سبتمبر/ايلول، مما يجعل القنوات البديلة (ناقلات الظل) أكثر أهمية.[1]

اولاً: أنظمة النقل البحري في العالم

جذبت ظاهرة «أسطول الظل» (أو بدلاً من ذلك «الأسطول المظلم») قدراً كبيراً من الاهتمام من وسائل الإعلام السائدة منذ اندلا ع الغزو الروسي لأوكرانيا، إذ أصبحت كلمة (أسطول الظل) تُستخدم على نطاق واسع من قبل وسائل الإعلام وداخل الصناعة البحرية.

وهذا النوع من الناقلات سيكون أكثر فاعلية وقابلية للتنفيذ من خلال التركيز على الأساطيل

1. للمزيد حول سقف الاسعار مراجعة: على دعدوش، مخطط السقف الاعلى لسعر النفط وانعكاساته على دول اوبك (بلس)، شبكة الاقتصاد نيوز، 2022. متاح على الرابط التالي: https://tinyurl.com/yuzuc46t

الرمادية والداكنة المحفوفة بالمخاطر. سيعمل هذا الإطار المفاهيمي الجديد على تمكين المؤسسات من التنبؤ بشكل أفضل بالمخاطر، حتى تتمكن من الاستمرار في الانخراط في تجارة البضائع وفهم توازن العرض والطلب والتفاوض على صفقات الشحن بطريقة أكثر استنارة.

حددت منصة Winward's Maritime AI ™ نظاماً ثلاثي المستويات للسفن لرسم صورة أكثر دقة لتهريب النفط الروسي، حيث حددت ثلاثة أنظمة لنقل النفط ومشتقاته عبر السفن،

هي: [2]

1- أسطول الناقلات القانوني: وهي تلك الناقلات التي لا تظهر أي سلوك مشبوه مثل تغيير العلم أو هيكل الملكية غير المنتظم. ومن المهم أن يكون بإمكان المؤسسات المختصة التعرف بسرعة على هذه السفن، بحيث لا تعرقل المنظمات البحرية بسبب الايحاءات الكاذبة والتي قد تعرقل تدفق الحركة العالمية بشكل أكبر.

2- أسطول النقل الرمادي: وهي من الأساطيل البحرية الجديدة التي ظهرت تماماً وتطورت بعد الحرب الروسية – الأوكرانية، إذ تم إنشاء الشركات الأجنبية بسرعة في أعقاب اندلا ع الحرب لإخفاء أصول السفن وملكيتها، والظهور بأنها ملتزمة بالقانون وغير خاضعة للعقوبات.

يوصف هذا الأسطول بأنه (رمادي) لأنه من الصعب تحديد الشرعية والامتثال للعقوبات في كثير من الحالات، كما تقوم عدد كبير من هذه السفن بتبديل الأعلام على ساريات السفن بشكل متكرر. وقد حددت Windward أكثر من 900 سفينة رمادية حول العالم في نهاية عام 2022.

3- أسطول الناقلات الداكن: غالباً ما يُستخدم هذا الأسطول في الأنشطة المظلمة أو غير القانونية، إذ يتم التعطيل المتعمد لنظام التعرف التلقائي للسفينة، جنباً إلى جنب مع ممارسات الشحن الخادعة الأخرى (DSPs)، مثل التلاعب في الهوية والموقع، وقد حددت مؤسسة Windward قرابة 1100 سفينة أسطول سوداء (داكنة) تجول في البحار.

2. Illuminating Russia's Shadow Fleet, https://windward.ai/knowledge-base/illuminating-russias-shadow-fleet/ 2023.

يُشكل الأسطولان الرمادي والداكن ما يُعرف (بناقلات الظل في روسيا) حيث تُعتبر هذه السفن خطراً مشروعاً بسبب الأنشطة التي يصعُب كشفها في كثير من الأحيان، التي تتعلق بمحاولات تهريب البضائع السائلة مثل النفط من روسيا.

اكتشفت تقنية Vortex a أن الأسطول الرمادي يحمل نحو (2,6) مليون برميل يومياً في كل شهر بعد الحرب الروسية – الأوكرانية، وهو ما يُترجم إلى زيادة بنسبة (68%) مقارنة بمستويات ما قبل الحرب الروسية – الأوكرانية. أما الأسطول الداكن، فقد زاد بنسبة (21%) وتعزى هذه الزيادة إلى الكميات من النفط الروسي فقط.

ثانياً: نهج العقوبات الاقتصادية للولايات المتحدة

منذ الحرب العالمية الثانية، قدمت الولايات المتحدة نفسها كقوة عالمية (اقتصادية وسياسية). بالتالي، أصبح الدولار العملة العالمية الأولى التي يتم استخدامها في كافة العمليات الجيوسياسية والاقتصادية والاجتماعية، إذ نجد أن اغلب الدول تقارن عملتها عند الصرف بالدولار خصوصاً عند إجراء الحسابات القومية والناتج المحلي الاجمالي وبقية مؤشرات الاقتصاد الكلي.

ومن هذا المنطلق، نجد أن الولايات المتحدة، وفي ظل القوة الاقتصادية والعسكرية والسياسية التي تتمتع بها، تحاول البقاء مسيطرة على العالم كقوة منتصرة بعد الحرب العالمية الثانية. بالتالي، تُعد أي منافسة لها في كافة النواحي والجوانب مساساً بالأمن القومي الداخلي والخارجي لها. الأمر الذي أدى إلى فرض العقوبات الاقتصادية على الدول التي تعدها الولايات المتحدة عدوة لها، (وذلك بعد التحول من التدخل العسكري الى العقوبات الاقتصادية نظراً لكونها ذات تكاليف منخفضة على واقع الاقتصاد الأمريكي).

فرضت عدة عقوبات على الجانب الآخر من الدول التي تتبنى النهج الاقتصادي الاشتراكي، مثل روسيا، نتيجة حربها مع أوكرانيا، والصين نتيجة للتلاعب بسعر صرف عملتها، بالإضافة إلى دعمها لروسيا وإيران وبرنامجها النووي الذي يُعتبر من قبل الولايات المتحدة عدواً للأمن القومي الداخلي لها. وعلى هذا الأساس، فُرِضت على بقية الدول العقوبات الاقتصادية.

من جهة أخرى، نلاحظ أن تلك الدول المعاقبة لم تظل رهينةً للعقوبات. وبالتالي، حاولت وتحاول إيجاد كافة المنافذ والسبل للخروج من العقوبات الاقتصادية المفروضة عليها. في بعض الأحيان، تتفاوض مع الولايات المتحدة، وفي أحيان أخرى تتجنب العقوبات باستخدام العديد من الوسائل والإجراءات المبتكرة.

من الملاحظ أن معظم الدول المعاقبة تكون إما مصدرة للنفط (الطاقة) أو مستوردة له. فنجد أن الصين بعد الألفية الثانية برزت كقوة تجارية ذات نمو مستمر سنوياً، نتيجة لتكاليفها المنخفضة، وكذلك اعتمادها على خفض قيمة عملتها المحلية كذريعة لتصدير الفوائض من السلع والخدمات والبضائع. وقد اتخذت الولايات المتحدة إجراءات حازمة، خصوصاً في عام 2018، من خلال فرض حزمة من العقوبات على التجارة الصينية.

أما إيران، فتُعَدُّ منتجة ومصدرة للنفط الخام، وتسعى إلى التحول نحو الطاقة النووية من خلال البرنامج النووي الذي يهدف إلى بروز إيران كدولة مهمة على الساحة الدولية. وأخيراً (روسيا)، حيث يعود العداء إلى الحرب العالمية الثانية والحرب الباردة، لكن بعد ذلك حدثت تفاهمات واتفاقات بين البلدين، مما أدى إلى تحقيق نوع من السلام خدمة للاقتصادات العالمية واستقرارها لتحقيق النمو. ومع ذلك، فإن حربها مع أوكرانيا أشعلت الأوضاع مرة أخرى، مما أدى إلى تدخل الولايات المتحدة لفرض عقوبات اقتصادية، منها منع التعامل مع نظام SWIFT العالمي، مما أدى إلى نقص كمية الدولارات من دخول روسيا، مؤثراً بشكل مباشر على التجارة الداخلية. وتضررت الصادرات الروسية – التي شكلت في عام 2022 أكثر من 10% من حجم الصادرات في العالم – بعد العقوبات التي فرضتها الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة. ولكننا نلاحظ تعافي الاقتصاد الروسي بعد شهرين فقط من بداية سريان العقوبات المذكورة، حيث بدأت الصين والهند باستيراد معظم النفط الروسي المحظور بأسعار مخفضة إلى نحو 30 دولاراً.

بعض الشركات التجارية لا تزال تستخدم نفس شركات الشحن اليونانية، وشركات التأمين البريطانية، والبنوك الهولندية واليابانية التي كانت تهيمن على الصناعة لفترة طويلة. نجحت هذه السياسة بفضل فرض سقف أسعار من قبل الغرب، حيث قامت الشركات الأوروبية بتعليق أعمالها مؤقتاً لمراجعة العمليات الورقية المعنية، مما أدى إلى انخفاض حصة نفط غرب روسيا من 60% إلى

حوالي 13%. بعد التأكد النهائي لطبيعة العقوبات، عادت الحصة إلى حوالي 36%.[3]

وفيما يلي الشكل (1) الذي يوضح حجم صادرات النفط إلى أبرز وجهات العالم، خاصةً لدول الاتحاد الأوروبي والصين والهند وتركيا التي دخلت السوق بقوة بعد فرض الحظر على النفط الروسي. يُلاحظ ارتفاع التصدير إلى دول الصين والهند وتركيا بعد بيع النفط بخصومات تصل إلى حوالي 30 دولاراً للبرميل، وانحساره في منطقة الاتحاد الأوروبي في أوائل عام 2023 نتيجة لتأثير العقوبات.

الشكل (1) صادرات النفط الروسي الخام

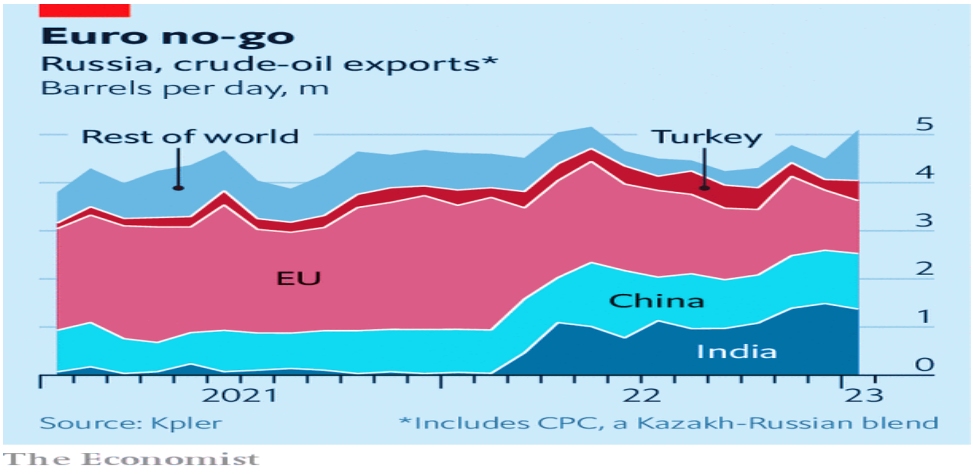

المصدر: الإيكونيميست، بالاعتماد على بيانات killer، 2023.

فضلاً عن ذلك، فإن أسطول الظل ربما يخفف من قدرة روسيا على تفادي العقوبات أو بيع نفطها فوق سقف السعر المحدد (60) دولاراً، كما أنه يجعل من الصعب تحديد مقدار بيع البراميل الروسية بالضبط، وقد وجد الخبراء، بما في ذلك أدلة في أن البيانات الجمركية على خام الأورال، قد بيع في الموانئ الرئيسية أكثر بكثير مما تشير إليه الأسعار الرسمية.

3. Russia shadow fleet king Gatik sinks on paper, transfers all tankers to related companies , 2023 , https://indianexpress.com/article/business/russia-shadow-fleet-king-gatik-sinks-on-paper-transfers-all-tankers-to-related-companies-8901462/

ثالثاً: روسيا ومواجهة العقوبات الاقتصادية

تبحر الناقلات المحطمة، التي يعود تاريخها إلى نصف قرن، إلى العملاء السريين مع إيقاف تشغيل أجهزة الإرسال والاستقبال الخاصة بها. يتم إعادة تسميتها وإعادة طلاؤها، وأحياناً يتم ذلك عدة مرات في الرحلة الواحدة. وغالباً ما تمر هذه الناقلات عبر محطات مزدحمة حيث يتم خلط نفطها الخام مع النفط الآخر، مما يجعل من الصعب اكتشافها. وفي الآونة الأخيرة، تم رصد العديد من الناقلات الضخمة التي كانت راسية سابقاً في الخليج تنقل البضائع من السفن الروسية الأصغر قبالة جبل طارق.

كما تعد عمان والإمارات العربية المتحدة من أبرز الدول التي استوردت النفط من روسيا في الأشهر العشرة الأولى من عام 2022. وهي القيمة الاستيرادية الأكبر مما كانت عليه في السنوات الثلاث السابقة مجتمعة. يبدو أنهم قد خلطوا خام الأورال مع نفوتهم وقاموا بإعادة بيع بعضه إلى أوروبا.

كذلك، ماليزيا التي صدرت خلال عام 2022 ضعف ما يمكن أن تنتجه من النفط الخام إلى الصين. حيث تستورد عن طريق ناقلات الظل الإيرانية جزءاً كبيراً من النفط الإيراني. ولكن يشتبه مراقبو السفن في تسلل عدد قليل من البراميل الروسية إلى الداخل أيضاً.

لقد اعتادت روسيا على بيع النفط الخام في الخارج عن طريق الأذرع التجارية للمنتجين الروس وشركات النفط لدول الاتحاد الاوربي الكبرى (G7) وتجار السلع السويسريين حيث يقع مقرهم في جنيف. لكن يلاحظ ومنذ اندلا ع الحرب الروسية – الأوكرانية بأن العديد من هؤلاء التجار انتقلوا إلى مواقع أكثر أهمية، إذ يعتقد (روبن ميلز) من شركة قمر للطاقة (شركة استشارية) بأن أكثر من (30) شركة تجارية روسية أقامت متجراً في دبي، بعضها بأسماء جديدة، وبالتالي ظهرت شركات جديدة لبيع النفط الروسي للهند وسريلانكا وتركيا وغيرها. ومعظم هؤلاء التجار ليس لديهم تاريخ في تداول النفط الروسي، أو في الواقع، ليس لديهم أي تجارة للنفط سابقاً، ويشتبه الخبراء في أن الأغلبية من هذه الشركات تُمثل واجهات لشركات حكومية روسية، الغرض منها الالتفاف على العقوبات وتحديد سقف الاسعار.

تُعد هذه المجموعة من الشركات، (واجهات الحكومة الروسية) هي التي تنظم اسطول الظل المترامي الأطراف، وقد تضخمت أسعار سوق ناقلات النفط المستعملة منذ أن نظر الاتحاد الأوروبي لأول مرة إلى فرض العقوبات على السلع والخدمات اللوجستية الروسية، ففي بداية عام

2022، تم تداول ما يقارب (200) سفينة حاملة للخام، أي بزيادة نحو (55%) عن عام 2021.

الشكل (2) ارتفاع اسعار سوق ناقلات بيع النفط الخردة

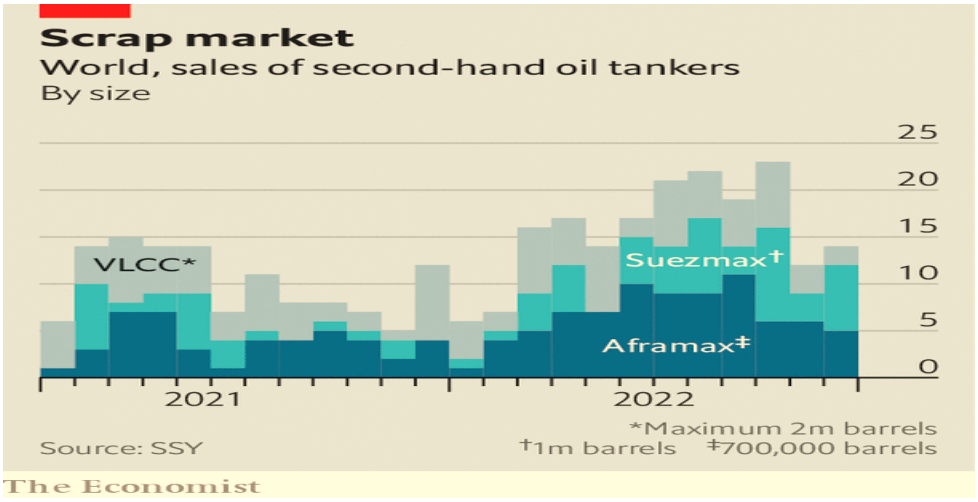

المصدر: الإيكونيميست، بالاعتماد على بيانات say، 2023.

في عام 2023، يمتلك الأسطول الروسي الذي يمكن استخدامه لتفادي سقف الأسعار حوالي (360) سفينة فردية، ما يُعادل تقريباً (16%) من مخزون ناقلات النفط الخام العالمي. وبالتالي، إذا قررت جميع السفن الغربية تجنب شحن النفط الروسي، فإن «أسطول الظل» سيكون كافياً للحفاظ على تدفق صادرات النفط الروسية عند المستويات الحالية. ومع ذلك، يجدر بالذكر أن العديد من هذه السفن قديمة، بعضها يتجاوز عمرها عقدين، وتقوم برحلات طويلة جداً. على سبيل المثال، يستغرق النفط الخام أقل من أسبوع للوصول من البحر الأسود إلى أوروبا، بينما يستغرق وصوله إلى الصين حوالي 45 يوماً.

ونظراً لعدم وجود تأمين من قبل شركات التأمين العالمية على الناقلات الروسية بسبب العقوبات، فإن تجارة «الظل» أو «ناقلات الظل» تعتمد على ائتمان من الدولة الروسية. حيث يقوم الوسطاء بدفع ثمن الشحنة فقط بمجرد تحصيل العائدات. بالإضافة إلى ذلك، تقوم البنوك الخليجية، وبشكل خاص الإماراتية، بتوقيع الشيكات أيضاً.

رابعاً: وجهات النفط الروسي من أساطيل الظل

من حيث الاتجاه الذي تتجه إليه هذه الشحنات، كانت الهند والصين هما المشترين الرئيسيين للنفط الخام. زادت حصتهما من الدرجات الروسية بعد حظر الاتحاد الأوروبي على الخام الروسي، حيث قام الجزء الأوروبي من دول البحر الأبيض المتوسط بإيقاف مشترياته من خام الأورال الروسي.

أما على صعيد المنتجات البترولية النظيفة (CPP)، بقي الاعتماد المتبادل بين روسيا وأوروبا قوياً حتى بعد الحرب، لا سيما عندما يتعلق الأمر بالديزل. نتيجة لذلك، استمرت بلجيكا وهولندا (منطقة ARA) في كونها الوجهة المفضلة طوال نهاية عام 2022. ومنذ ذلك الحين، بدأ الاتحاد الأوروبي في التخلص من تعرضه للمنتجات الروسية، والتي بلغت ذروتها في الحظر الذي اعتمد في 5 فبراير/شباط المذكور أعلاه، بالتالي اتجهت الأنظار على تركيا باعتبارها الدولة المشتري المهيمنة، كذلك ظهر عدد كبير من المشترين للديزل الروسي في مناطق مثل شمال وغرب إفريقيا، والشرق الأوسط، وبشكل خاص في أمريكا الجنوبية، ولاسيما في البرازيل.

وفما يلي وجهات (اتجاهات) النفط الروسي الخام ومشتقاته، موزعة بشكل تفصيلي بين ناقلات الأسطول الرمادي والأسطول الداكن:

الجدول (1) وجهات النفط الروسي الخام ومشتقاته

نوع الاسطول	النفط الخام	المنتجات النفطية
الاسطول الرمادي	الصين (+ 600 ألف برميل في اليوم) الهند (+ 480 ألف برميل في اليوم) تركيا (+ 180 ألف برميل في اليوم)	تركيا (+ 80 ألف برميل في اليوم) بلجيكا (+ 37 ألف برميل في اليوم) هولندا (+ 32 ألف برميل في اليوم)
الاسطول الداكن	الهند (420+ ألف برميل في اليوم) الصين (+ 400 ألف برميل في اليوم) بلغاريا (+ 100 ألف برميل في اليوم)	هولندا (+ 88 ألف برميل في اليوم) تركيا (+ 67 ألف برميل في اليوم) ألمانيا (+ 65 ألف برميل في اليوم).

المصدر: الباحث بالاعتماد على:

Julia Horowitz: A mysterious fleet is helping Russia ship oil around the world. And it's growing, 2023,

خامساً: انعكاسات تجارة الظل على الاقتصاد العالمي

يمكن للصين والهند شراء المزيد من الخام الروسي، ولكن ووفقاً للبيانات، تظل خزاناتهما أقل من الثلثين ممتلئة بعد شراء كل النفط الروسي، مما يشير إلى أن معظم المشتريات يجري تكريرها وإعادة بيعها (بعضها إلى أوروبا) وهذه العملية تتم بعلم الاتحاد الأوروبي، والدليل على ذلك، هو رفع الصين حصص تصدير المنتجات النفطية في الثالث من كانون الثاني عام 2023 بنسبة (50%) مقارنة بعام 2022.

ونعتقد أن هذا الأمر قد خفف من نقص المنتجات النفطية وغطى إلى حد ما الحصة الروسية التي كانت تصدر إلى دول منطقة اليورو، مما أثر ايجاباً على استقرار أسعار الطاقة في مستويات مناسبة.

وفيما يلي الشكل (3) الذي يوضح سعة الخزين النفطي للهند والصين خلال المدة (2021 إلى بداية عام 2023):

الشكل (3) سعة الخزين النفطي للهند والصين خلال المدة 2021 إلى بداية عام 2023

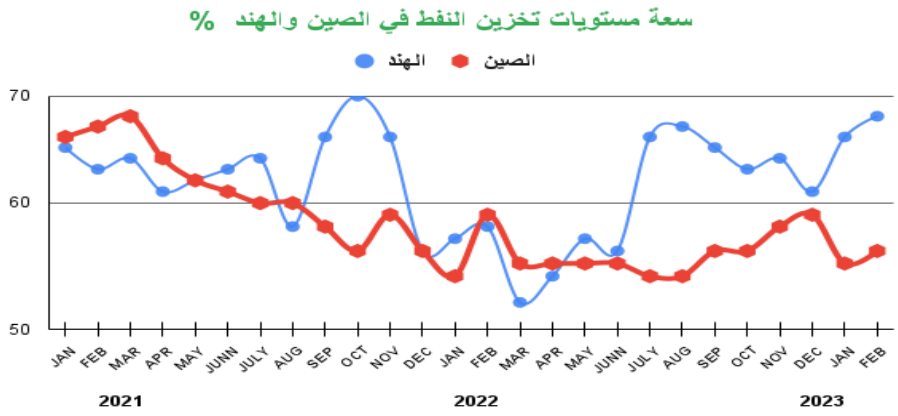

المصدر: الباحث بالاعتماد على بيانات الدول المذكورة.

ومن جهة أخرى، يمكن أيضاً أن تتضاءل الحوافز لاتباع سقف السعر. إذ أصدر الرئيس الروسي (فلاديمير بوتين) في ديسمبر/كانون الأول عام 2022، مرسوماً يحظر البيع والتعامل مع الدول غير الصديقة لروسيا والتي تلتزم بالعقوبات وتوافق عليها، لكن يلاحظ أن لغة البيان كانت ضعيفة وربما تسمح لوجود استثناءات، مما يعني أنه قد يكون من الممكن أن تتعامل روسيا مع دول منضوية في منطقة اليورو.

ومن جهة ثالثة – من حيث الانعكاسات لتجارة الظل – يمكن لارتفاع أسعار النفط الخام تغيير الوضع بشكل جذري وأن يكون له تأثير سلبي على اقتصادات العالم. ومع ذلك، يتم تداول خام برنت – خام القياس الدولي – اليوم بأسعار تتراوح ما بين (80– 83) دولاراً للبرميل، وهو أقل من متوسط سعر عام 2022 الذي ناهز (100) دولار، وهذا حصل بسبب ضعف قدرة التفاوض لدى روسيا وارتفاع تكاليف الشحن، بمعنى آخر، أنه تم خصم سعر خام (الأورال) حتى قبل تحديد سقف الأسعار. ونتيجة لذلك، تم بيع برميل الأورال، الذي يتدفق من غرب روسيا ويشكل معظم صادراتها، بأقل من 60 دولاراً.

وهذا السعر المنخفض يجعل الاقتصادات المتقدمة تزدهر على المدى القصير والمتوسط، وهو مشروط لأي بلد يرغب في الالتزام بالقواعد الدولية. ومع ذلك، نجد أن انتعاش الطلب الصيني، إلى جانب الاستثمار الضعيف في إمدادات النفط الجديدة، يمكن أن يبقي خام برنت بحدود (80) دولاراً حتى نهاية عام 2023، وفي مثل هذا السيناريو، سيرتفع سعر الأورال أيضاً، ومن المحتمل أن يلجأ بعض المشترين إلى تجارة الظل بدلاً من مواجهة مشكلات الامتثال.

وتعزز الجولة التالية من العقوبات على المنتجات المكررة لروسيا دفعة كبيرة للتجارة الظل (ناقلات الظل). ففي ديسمبر/كانون الأول 2022، اشترت أوروبا مليون برميل يومياً من الديزل ونواتج التقطير النظيفة الأخرى، أي ما يعادل نحو (55%) من صادرات روسيا. وهذا لا يكفي لتلبية الطلب الكلي لدول الاتحاد الأوروبي، حيث إن المنتجات المكررة في الصين والهند لا تكفي بمفردها. لذلك قد تكون أفضل رهانات روسيا هي الأسواق الأصغر في البرازيل والمكسيك، التي ستشهد تضاؤل إمداداتها مع زيادة الصادرات الأمريكية إلى أوروبا. ومع ذلك، سيؤدي الأسطول الصغير لنقل المنتجات المكررة، بالإضافة إلى طول الرحلة، إلى تفاقم النقص في تلك الدول. وهذا يشير إلى أن روسيا قد لا تكون قادرة على بيع الكثير من المنتجات النفطية، وستحاول بدلاً من

ذلك دفع أكبر قدر ممكن من النفط الخام إلى السوق الرمادية، وتحديداً الى الصين والهند وتركيا، وحسب الكميات المصدرة كما هو موضح في الجدول (1)[4].

سادساً: نمو تجارة ناقلات الظل الروسية: الإيجابيات والسلبيات

إن نمو تجارة الظل لنفط خام الأورال يُعطي روسيا ميزة إيجابية، إذ أنها سوف تصدر المزيد من النفط بعيداً عن سيطرة الوسطاء الغربيين أو الدول التي فرضت عليها عقوبات، مما يجعل التسعير أقل شفافية.

تشير بيانات المارك الهندية من تشرين الثاني 2022 إلى أن البلاد اشترت النفط بتخفيضات أقل بكثير من تلك التي تم الإبلاغ عنه في ذلك الوقت. كما يُشير مسؤول نفط روسي سابق بأنه يوفر وسطاء السوق الرمادية الذين يستحوذون على التكاليف مثل الشحن، قناة لتحويل الأموال إلى حسابات الشركات الخارجية التي يمكن أن يؤثر عليها الكرملين على الأرجح.

في غضون ذلك، سيكون لتهرب روسيا من العقوبات آثار جانبية سلبية على بقية العالم تتمثل:

1- زيادة تقسيم تجارة النفط على أسس جيوسياسية حادة.

في ديسمبر/كانون الأول 2022، أعلنت العديد من الشركات الغربية الكبرى، بما في ذلك إكسون موبيل وشل، أنها لن تستأجر ناقلات تحمل النفط الروسي بعد الآن، مما أجبر أصحابها على الانحياز.

2- جعل تداول النفط عملاً محفوفاً بالمخاطر.

إذ يتم نقل جزء متزايد من بترول العالم بواسطة شركات ليس لها خبرة ميدانية أو سمعة جيدة، وذلك على متن سفن قديمة تقوم برحلات أطول وأكثر كثافة مما كانت تفعله في السابق. وفي حال وقوع حوادث، قد تكون شركات التأمين غير راغبة أو غير قادرة على تغطية الضرر.

4. Alex Longley and Serene Cheong : Russia's Rusty Oil Tanker Fleet Sets Sail with Newer Ships,2023. https://www.bloomberg.com/news/articles/2023-07-01/russia-s-scrapheap-worthy-fleet-of-oil-tankers-gets-an-infusion-of-newer-ships#xj4y7vzkg

3- مخاطر البيئة والسلامة.

يمارس أسطول ناقلات الظل عمليات نقل خطرة من سفينة إلى سفينة في المحيط المفتوح، فضلاً عن الأساليب المستخدمة لإخفاء هويات السفن وإيقاف تشغيل أجهزة الإرسال والاستقبال AIS انف الذكر. بالإضافة إلى ذلك، يقوم مالكو هذه الناقلات في كثير من الأحيان بتغيير أسماء السفن وملكيتها، مما يجعل من الصعب تتبعها وتفادي المسائل القانونية في ولايات معروفة بأنها أقل صرامة [5].

وقد ورد أنه كان هناك ما لا يقل عن ثماني حالات تأريض أو تصادم أو حوادث قريبة، تشمل ناقلات تحمل منتجات نفطية خاضعة للعقوبات في عام 2022، في مارس/آذار 2022، جنحت ناقلة الظل أرزيو قبالة شرق الصين.

أ- ناقلة النفط بيتيون كانت متورطة في حادث تصادم في كوبا بعد أيام فقط من جنوح ناقلة الظل أروي.

ب- في نوفمبر/تشرين الثاني 2022، تم العثور على ناقلة النفط (ليندا 1) تعاني من عيوب شديدة وكانت مخالفة للوائح التلوث في استخدام وقود بحري عالي الكبريت بدون نظام تنظيف غاز العادم.

ج- في مايو/أيار 2023، انفجرت السفينة بابلو في جنوب شرق آسيا، مما أسفر عن مقتل ثلاثة من أفراد الطاقم وغمر النفط الشواطئ القريبة من موقع الحادث.

5. أيدت اللجنة القانونية للمنظمة البحرية الدولية، الدورة 110 على نطاق واسع، التدابير الموصي بها المبينة في التقديم الأصلي، بما في ذلك:

- تُدعى دول العلم إلى ضمان التزام الناقلات التي ترفع علمها بالتدابير التي تحظر بشكل قانوني أو تنظم عمليات النقل من سفينة إلى أخرى، وأن تلتزم هذه السفن أيضاً بروح متطلبات السلامة الواردة في اتفاقيات المنظمة البحرية الدولية، وأن تمارس معايير الشحن الآمنة لتقليلها إلى الحد الأدنى من خطر التلوث النفطي.
- ينبغي لدول العلم أن تنظر في مطالبة السفن بتحديث أدلة العمليات من سفينة إلى أخرى بحيث تشمل اخطار دولة العلم عندما تشارك في عملية وسط المحيط.
- ينبغي لدول الميناء أن تضمن إنفاذ اتفاقيات السلامة والمسؤولية على هذه السفن وأن تضمن إجراء عمليات النقل من سفينة إلى أخرى وفقاً لمتطلبات السلامة المعمول بها في اتفاقيات المنظمة البحرية الدولية؛ وإذا علمت دول الموانئ أن أي سفن «تغرق في الظلام»، فينبغي لها أن تنظر في إخضاع هذه السفن لعمليات تفتيش معززة على النحو المأذون به، واخطار إدارة علم السفينة المعنية، حسب الاقتضاء.

فضلا عما تم ذكره [6]، ووفقاً للأخبار الدولية، فإن ناقلة أسطول الظل، والتي تسمى Canis Power فد تعرضت مؤخراً في بحر البلطيق، لعطل في المحرك في المياه الدنماركية في مايو/أيار بينما كانت محملة بما يصل إلى (340) ألف برميل من النفط.

وفقاً للمنظمة البحرية الدولية، فإن الملكية غير الواضحة والافتقار الشديد للتأمين يمكن أن يؤدي أيضاً إلى تهرب مالك السفينة المشارك من مسؤوليته بموجب معاهدات المسؤولية والتعويض ذات الصلة (مثل الاتفاقية الدولية بشأن المسؤولية المدنية عن أضرار التلوث النفطي (CLC) والاتفاقية الدولية بشأن المسؤولية المدنية)، المسؤولة عن أضرار التلوث بزيت وقود السفن (اتفاقية وقود السفن).

وأخيراً، تشير التقارير إلى أن ناقلات الظل، التي تعمل في الخفاء تسبب مخاطر كبيرة على سلامة الطاقم ايضاً. إذ أن هذه السفن غير قابلة للكشف وغير مؤمنة، وهذا يشكل تهديداً لسلامة الطاقم على متن السفن وكذلك الأشخاص العاملين على متن السفن الأخرى.

سابعاً: دور ناقلات الظل الروسية في خفض صادرات العراق النفطية إلى آسيا

تُعد الهند ثالث أكبر مستورد للنفط الخام في العالم، بعد الولايات المتحدة والصين، وهي المستورد الأول لنفط العراق بنحو (23%)، وتأتي بالمرتبة الثانية المملكة العربية السعودية بنحو (17%) ومن ثم الإمارات بنحو (9%)، وتشير هذه النسب إلى نهاية الشهر الأول من عام 2022. ومن الملاحظ أن الهند لم تستورد من روسيا خلال نفس العام إلا بنسبة (2%) فقط. ولكن، وبسبب الخصومات السعرية التي تمنحها موسكو لمشتري خام الأورال الروسي، والتي وصلت إلى (30) دولاراً للبرميل والتي يتم توريدها إلى آسيا عن طريق ناقلات الظل، فقد ارتفعت تدفقات الخام الروسي إلى الأسواق الآسيوية بنحو (875) ألف برميل يومياً منذ بداية الحرب الروسية – الأوكرانية. الامر الذي أدى إلى ارتفاع مشتريات الهند من النفط الروسي خلال الربع الثاني من عام 2022 بضعف مشترياتها خلال عام 2021.

وبذلك أصبح خام الأورال اللاعب الرئيس في الهند، حيث ارتفعت الواردات منه إلى نحو (1,97) مليون برميل يومياً في أغسطس/آب من عام 2023، بعدما كانت نحو (1,68) مليون

6. Going dark' is a red flag – AIS tracking and sanctions compliance, 2019. https://safety4sea.com/going-dark-is-a-red-flag-ais-tracking-and-sanctions-compliance

برميل يومياً في ابريل/نيسان من عام 2023. وهذا يزيح العراق من صدارة تصدير النفط إلى الهند ويمنح روسيا حصة سوقية تبلغ (39%) من إجمالي واردات النفط إليها. إذ أن واردات الهند النفطية من العراق كانت قد انخفضت من (1,2) مليون برميل يومياً في مارس/آذار عام 2023 إلى نحو (890) ألف برميل يومياً في مايو/أيار عام 2023، لتصبح ثاني أكبر مورد للهند خلف روسيا [7]. وهو ما سبب خسارة العراق قرابة (310) ألف برميل يومياً من إجمالي صادراته النفطية إلى الهند.

وفيما يأتي كميات النفط المصدرة للعراق خلال المدة ما بعد الحرب الروسية – الأوكرانية ولغاية شهر يونيو/حزيران 2023: –

جدول (2) صادرات النفط العراقية الشهرية خلال المدة شباط 2022 – حزيران 2023

التاريخ	الكميات المصدرة (البصرة) مليون برميل	نسبة النمو %	اجمالي صادرات النفط (مليون برميل)	نسبة النمو %
شباط (2022)	111,645	---	112,125	---
اذار	99,115	(11.2)	100,561	(10.3)
نيسان	98,100	(1.0)	101,390	0.8
ايار	98,946	0.8	102,303	0.9
حزيران	97,980	(0.9)	101,191	(1.0)
تموز	99,965	2.0	102,385	1.1
اب	100,750	0.7	101,859	(0.5)
ايلول	96,445	(4.2)	98,765	(3.0)
تشرين الاول	102,070	5.8	104,831	6.1
تشرين الثاني	97,204	(4.7)	99,868	(4.7)
كانون الاول	100,753	3.6	103,281	3.4

7. Definitive Oil Research,2023.

التاريخ	الكميات المصدرة (البصرة) مليون برميل	نسبة النمو %	اجمالي صادرات النفط (مليون برميل)	نسبة النمو %
كانون الثاني (2023)	98,460	(2.2)	101,245	(1.9)
شباط	89,140	(9.4)	92,225	(8.9)
اذار	98,875	10.9	100,913	9.4
نيسان	98,643	(0.2)	98,634	(2.2)
ايار	102,206	3.6	102,463	3.8
حزيران	98,725	(3.4)	100,059	(2.3)

المصدر: الباحث بالاعتماد على: -

1.Some Oil, IRAQ CRUDE OIL EXPORTS - MAY – 2023.

2. النسب من استخراج الباحث.

الشكل (4) صادرات النفط الشهرية في العراق

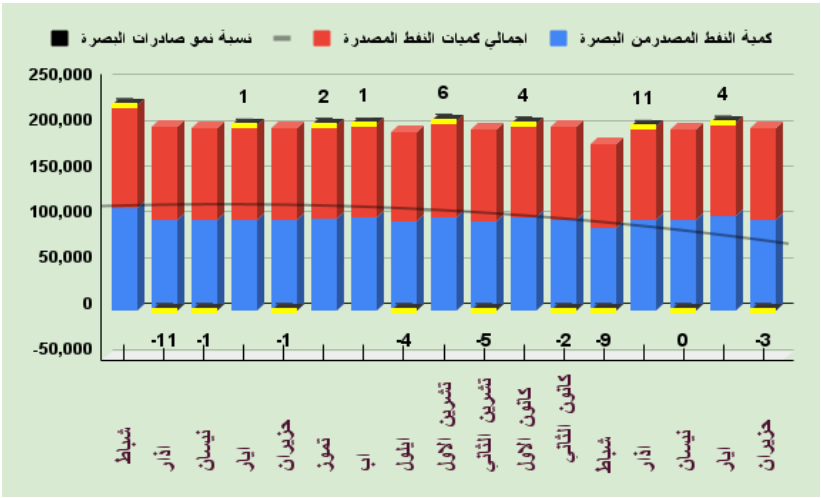

المصدر: الباحث بالاعتماد على بيانات الجدول (2).

يُظهر الجدول (2) والشكل (4) أن صادرات العراق الشهرية قد تأثرت سلباً خلال الحرب الروسية – الأوكرانية، وخصوصاً بعد فرض سقف الأسعار على خام الأورال، فقد انخفضت الصادرات النفطية الإجمالية (112,125) مليون برميل في شهر فبراير/شباط من عام 2022 إلى نحو (92,225) مليون برميل في شهر فبراير/شباط عام 2023، أي بنسبة نمو سالبة بلغت (8.9%)، وبشكل أكثر وضوحاً. يُظهر فقط أن الخصم السعري لخام الأورال أثر سلبياً ومباشراً على صادرات البصرة الى الهند، حيث حقق نمواً سلبياً بلغ (9.4%) ما بين شهري كانون الثاني وشباط من عام 2023، وكما هو موضح أعلاه.